

الأربعون العقدية



بذل الأمل، شرح حديث على ما كان من
العمل.

كتبه /

أيمن إسرا عيلح

*** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ***

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران/ ١٠٢)
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء/ ١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)
(الأحزاب/ ٧٠/٧١)

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى ، هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثه بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، ثم أما بعد ؛

*** نص الحديث : ***

عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:
«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»
وفي رواية (أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ)

*****تخريج الحديث :**

أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ (٣٤٣٥) ومسلم في صحيحه ، كِتَابُ الْإِيمَانِ (٢٨)، وأحمد في المسند (٢٢٦٧٥) وابن منده في كتاب الإيمان (٤٤) و(٤٠٥) والنسائي في سننه الكبرى(١٠٩٠٤)

*****بيان وشرح فوائد حديث الباب :**

قال النووي :

هذا حديث عظيم الموقع ، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر ، على اختلاف عقائدهم وتباعدهم ، فاختصر صلى الله عليه وسلم في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم.^١

***** شرح حديث الباب :**

يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.....

وهنا فوائد : الأولى :

دليل شهادة أن لا إله إلا الله:

قال تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران: ١٨] وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: ٢٥]

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ .^١

***الفائدة الثانية :**

في معنى شهادة أن لا إله إلا الله : أي (لا معبود بحق إلا الله) فكل معبود سوى الله - تعالى- فهو معبود باطل.

^١ متفق عليه.

****مفنى: {لا إله إلا الله} :** نفى العبادة عمّن سوى الله ، وإثباتها لله سبحانه وتعالى، يعنى: إبطال عبادة كل ما سوى الله، وإثبات العبادة لله فالهة المشركين قد سمّاه الله -تعالى- الهة ، قال تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} (الفرقان/٣) لكنها الهة معبودة بغير حق؛ فهي باطلة. بل قد قال تعالى {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية: ٢٣]، فأطلق على الهوى اسم " إله " .
فقوله: { لا إله } : هذا إبطال لجميع المعبودات من دون الله عزّ وجلّ، وإنكار لها ، **وقوله {إلا الله} :** هذا إثبات للعبادة لله -تعالى - وحده لا شريك له .
 قال تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} ^٣

**** أركان كلمة «لا إله إلا الله» :**

المقصود الأعظم من هذه الكلمة إنما هو : تحقيق معناها في القلب، مع النطق بها باللسان، والقيام بمقتضاها بالجوارح، ولا أدلّ على ذلك من إجماع السلف على أن من نطق بالشهادة، ولم يعتقد معناها، ولم يعمل بمقتضاها، فإنه لا يكون مسلماً ، ويقاقل على ذلك، حتى يعمل بما دلّت عليه من النفي والإثبات.

***قال عبد الرحمن بن حسن :**

فقوله صلى الله عليه وسلم(من شهد أن لا إله إلا الله....) أي: من تكلم بها عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، باطناً وظاهراً، فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولهما، كما قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: ١٩] وقوله: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٦].

^٢ لذلك فإن تفسير كلمة التوحيد بأن يقال " لا إله موجود إلا الله" هو تفسير باطل؛ لأن هذا يلزم منه أن كل معبود الوجود هو الله.

^٣ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد(١/٦١)

أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه:
من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل: قول القلب واللسان، وعمل
القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع .
وفي الحديث ما يدلّ على هذا، وهو قوله: «من شهد» إذ كيف يشهد وهو لا
يعلم، ومجرد النطق بشيء لا يسمّى شهادة به^٤.

**** *الفائدة الرابعة :**

"لا إله إلا الله" مركبة من نفي وإثبات، وهما ركنا شهادة التوحيد ، فقوله:
(لا إله) نفي استحقاق العبادة عن سوى الله، وقوله: "إلا الله" فيه إثبات
العبادة لله تعالى ، وحده لا شريك له .
* * وتحقيق كلمة التوحيد إنما يُبنى على النفي والإثبات ، وهذا هو حقيقة
التوحيد ، فالنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون نفي لا يمنع
المشاركة ، فلا يكون التوحيد إلا متضمنا للنفي والإثبات .
* * وهذا ما نستقرئه من مواضع عديدة :

قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي
فَطَّرَنِي } [الزخرف ٢٦ - ٢٨]

وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ }

وقال تعالى (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى) (البقرة/ ٢٥٦)

وقال عزوجل (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (النساء/ ٣٦)
وفي حديث جبريل -عليه السلام- قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا"^٦
* * ولا أدل على ذلك من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم -على تأكيد هذا
الأصل في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ ، فكان يقول :
"لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

^٤ انظر فتح المجيد (٣٩ - ٤١) والمختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد(ص/٧١)

^٥ التخلي عن التقليد والتخلي بالأصل المفيد (ص/٧٣)

^٦ متفق عليه.

قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ،
لَهُ النُّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ
كَرِهَ الْكَافِرُونَ^٧

** وهذا الأصل الذي هو النفي والإثبات لا يتحقق التوحيد إلا به ، فالإثبات
وحده لا يكفي للحكم بإسلام المرء ، فمن أثبت العبادة لله ، قولاً وعملاً ،
ولكن ما نفاها لغيرها ، فسوّغ لغيره -مثلاً- أن يعبد غير الله تعالى ، فهذا
كافر ، حتى لو أفرد العبادة لله تعالى ؛ لأن هذا اعتراف منه أن غير الله-
تعالى- يستحق أن يُعبد .

* ولقد قاتل الرسول- صلى الله عليه وسلم- المشركين الذين حققوا طرفاً من
الإثبات ، على عوج منهم في ذلك ، لكنهم ما حققوا نفي الألوهية عمّن سوى
الله تعالى ، فقد حكى الله عنهم قائلاً
(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى
..)(الزمر/٣)

وقال تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا)
(غافر/١٢) فهم ما أشركوا إلا لما دُعوا إلى تحقيق نفي الألوهية عن سوى
الله تعالى .

(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَدْرَ مَا كَانِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...) (الأعراف/٧٠)
فهم ما أنكروا على رسلهم أصل قضية الدعوة إلى الله ، و إنما كان إنكارهم
على تحقيق نفي الألوهية عن سوى الله تعالى .

* وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ:
كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ :
لَيْلَيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ
قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ.^٨

**** عودٌ إلى حديث الباب : وأن محمداً عبده ورسوله :**

وهذه منزلة التوسط بين الإفراط والتفريط في حق النبي صلى الله عليه
وسلم . وهذا ما نص عليه كتاب الله تعالى . (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ
.....)

^٧ أخرجه مسلم (٥٩٤)

^٨ أخرجه مسلم (١١٨٥)

* فوصفه - صلى الله عليه وسلم- بمقام العبودية والبشرية فيه رد على الغلاة الذين بالغوا في شأن النبي - صلى الله عليه وسلم ، حتى قالوا في حقه ما لا يقال إلا في حق الله تعالى^٩ .
وحتى جَوَّزُوا الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقاموا يسألونه عند الملمات وكشف الكربات .

* وكم كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - حريصاً على غلق باب الغلو فيه - صلى الله عليه وسلم ، وسد كل الذرائع المفضية إلي ذلك .
* عن ابن عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَجَعَلْتَنِي اللهُ نَدًا ، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ " ١٠

* ولما قَالَتْ جَارِيَةٌ : " وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ " ، قَالَ لَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَا تَقُولِي هَكَذَا ، وَقُولِي مَا كُنْتَ تَقُولِينَ» ١١
* وقال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ :

(لَا تُظْرُونِي كَمَا أَظُرَتِ النَّصَارَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ) ١٢

** وقوله صلى الله عليه وسلم (فإنما أنا عبد الله ورسوله) :
هو من أساليب اللغة في الحصر، أي: ما هو إلا عبدٌ رسول، وجاء هذا الحصر بعد فاء التعليل لبيان أن العلة في عدم الإطراء هو لكونه فقط عبد رسول، فهو عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذب. ١٣

* هكذا كان مقام عدم الإفراط ، وأما عدم التفريط :
فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو نبي الله وَرَسُولُهُ :

^٩ كما قال البوصيري في البردة:

(يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم يكن في معادي أخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم)
ديوان البوصيري (ص/٢٠٠).

^{١٠} أخرجه أحمد (١٨٣٩) انظر السلسلة الصحيحة (١٣٦)

^{١١} أخرجه البخاري (٤٠٠١)

^{١٢} أخرجه أحمد (١٦٤) والبخاري (٣٢٦١)

^{١٣} التوضيح الرشيد في شرح التوحيد (ص/١٤٧)

**** فقد جاءت البشارة به في التوراة والإنجيل والقرآن :**

قال تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ) (الأعراف/ ١٥٧)

وقال تعالى (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) (الصف/ ٦)

** وعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- وقد سُئِلَ عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المذكورة في التوراة، فقال :
ورد في التوراة { يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً }
، وحرزاً للأميين ، أنت عدي ورسولي، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر .^{١٤}

ودليل ذلك في القرآن كثير :

قال تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ....) (الفتح/ ٢٩)

وقال تعالى { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } [التوبة: ١٢٨]

**** مَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ :**

الذي تقتضيه هذه الشهادة هو تصديق القلب أن محمداً بن عبد الله رسول من عند الله، والتصديق واليقين بأنه رسول الله إلى جميع الناس ، وكذلك تصديقه في كل ما أخبر به عن رب العزة .

وهذا التصديق لا ينفع صاحبه إلا إذا قُرِنَ ذلك بطاعته - صلى الله عليه وسلم - فيما به أمر، وفيما عنه نهي .

قال تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء/ ٦٥)

وليس مجرد التصديق فقط ، وإلا فاليهود كانوا على يقين أنه رسول الله ، قال تبارك وتعالى (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)

^{١٤} أخرجه أحمد (٦٦٢٢) والبخاري (٢١٢٥)

فلم ينفعهم ذلك .
وقد نفي الله -تعالى- الإيمان عن ادعى تصديق الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم أعرض عن اتباعه .
قال تعالى (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧)) (النور/٤٧)

**** قال شيخ الإسلام ابن تيمية :**

الله - تعالى - خلق الخلق لعبادته ، كما قال الله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات: ٥٦] وإنما تَعَبَّدَهُمْ بطاعته وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم .^{١٥}

**** واعلم أن :**

الشهادتين تشملان على نوعين من التوحيد :

(توحيد العبادة و توحيد الإتياع)

فكما نشهد أنه "" لا معبود بحق إلا الله "" وهذا هو توحيد العبادة ، كذلك نشهد أنه "" لا متبوع بحق إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ""
** وهذا ما ذكره الله -تعالى- في قوله (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف/١١٠)
وذلك تحقيق الشهادتين.

**** قال تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْأَلَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (الملك/٢)**

قال الفضيل بن عياض:

" أحسن العمل " أخلصه وأصوبه ، فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص: إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة.^{١٦}
*** قال ابن كثير :**

لا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله ، على شريعة رسول الله ، فمتى

^{١٥} مجموع الفتاوى (٤/١)

^{١٦} تفسير القرآن الكريم لابن القيم (٧٨/١)

فقد العمل واحداً من هذين الشرطين حبط وبطل " ا هـ ١٧
*-- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

" وجماع الدين شيئان :

أحدهما : أن لا نعبد إلا الله تعالى .

والثاني : أن نعبد بما شرع ، لا نعبده بالبدع ، كما قال : " ليلوكم أيكم
أحسن عملاً " وكان عمر بن الخطاب يقول في دعائه :

اللهم أجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه
شيئاً .^{١٨}

* قال ابن القيم :

العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ، يتقله ولا
ينفعه .^{١٩}

* قال ابن القيم نونيته :

فقيام دين الله بالاخلاص *** والإحسان إنهما له أصلان .
لم ينبج من غضب الإله وناره *** إلا الذي قامت به الاصلان
والله لا يرضى بكثرة فعلنا *** لكن بأحسنه مع الإيمان .^{٢٠}

***وهنا فإندم مهمة قول ابن القيم رحمه الله :**

(والله لا يرضى بكثرة فعلنا *** لكن بأحسنه مع الإيمان)

وهي أن " إصابتها السنة خير من كثرة العمل " "

وهذا ما دل عليه حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال:
" خَرَجَ رَجُلَانِ فِي سَفَرٍ ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ وَلَيْسَ مَعَهُمَا مَاءٌ ، فَتَيَمَّمَا صَعِيدًا
طَيِّبًا فَصَلَّيَا ، ثُمَّ وَجَدَا الْمَاءَ فِي الْوَقْتِ ، فَأَعَادَا أَحَدُهُمَا الصَّلَاةَ وَالْوُضُوءَ ،
وَلَمْ يُعِدِ الْآخَرَ ، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَذَكَرَا ذَلِكَ لَهُ ؟
فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ :

^{١٧} تفسير القرآن العظيم (٢ / ٥٧٤)

^{١٨} المجموع (٢٨ / ٢٣)

^{١٩} الفوائد (ص / ٤٩)

^{٢٠} النونية الكافية الشافية (ص / ٣٥)

أَصَبَتِ السُّنَّةَ وَأَجْزَأَتْكَ صَلَاتُكَ، وَقَالَ لِالْآخِرِ: لَكَ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ" ^{٢١} .
فقد قال النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- للذي لم يُعد:

" أَصَبَتِ السُّنَّةَ ، وَأَجْزَأَتْكَ صَلَاتُكَ ، وَقَالَ للذي أعاد صلاته :
" لك الأجر مرتين" ، أجزأ للصلاة الأولى، وأجزأ للصلاة الثانية، ولكن
إصابة السنة أفضل من ذلك. ^{٢٢}

**** عودٌ إلى حديث الباب :**

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا
إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...)

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ...)

رد على النصارى ، وفي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ورسوله " :
رد على اليهود .

وهكذا تكون شهادة الحق لعيسى - عليه السلام - بين المغالاة والمجافاة ،
بين غلو النصارى الذين ألوهوه من دون الله ، وبين جفو اليهود الذين كذبوه
، وزعموا أنهم صلبوه. ^{٢٣}

^{٢١} أبو داود (٣٣٨) والنسائي (٤٣٣) وصححه الألباني.

^{٢٢} توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٤٢٥/١)

** قال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله :

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان إذا فعل العبادة يظن أن فعلها واجب عليه فإنه يثاب على ذلك ولو أخطأ؛ لأنه عمل طاعة لله وتقرباً إليه فيؤجر على هذا.

ومن فوائد هذا الحديث: أن إصابة السنة خير من كثرة العمل؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي لم يعد: "أصبت السنة". ومعلوم أن إصابة السنة خير من كثرة العمل.

فإن قال قائل: وهل لو أعاد أحد الآن بعد أن تبينت السنة لو أعاد الصلاة بعد وجود الماء هل يؤجر أو لا يؤجر؟

نقول: إنه لو كان علم بالسنة فإنه لا يؤجر، بل لو قيل: إنه يائمه لكان له وجه؛ لأنه إذا وجد الماء بعد انتهاء الصلاة، فإنه ليس عليه إعادة، لكنه لو لم يعلم بالسنة وأعاد بناء على أن ذلك هو الواجب عليه فإن الحكم واحد؛ بمعنى: أن الحكم الذي حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أعاد ينطبق تماماً على من جهل السنة في عصر وأعاد. اهـ

وانظر فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٣٧٠/١)

^{٢٣} واليهود يتفقون مع النصارى في أن المسيح - عليه السلام - مات مصلوباً.

وإنما موضع الاختلاف بينهما في زعم اليهود أن المسيح كفر بالله؛ لهذا حملوا عليه وطالبوا بدمه وزعموا أنه مات مصلوباً.

والموت على الصليب يستلزم اللعنة عندهم ، فقد ورد في سفر التثنية (٢٢/٢١) "وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنها في ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله". =

**وبين هذا وذلك جاءت وسطية أمة الإسلام ، أمة الإسلام التي هي أولى بكل نبي كذبه قومه .

وقد تجلّت هذه الوسطية في نبي الله عيسى عليه السلام ، وذلك كما ورد في حديث الباب ، وذلك بالاعتقاد ببشرية عيسى عليه السلام ، مع الإيمان برسالته إلى بني اسرائيل .

** وما ورد في حديث الباب من الاعتقاد في عيسى -عليه السلام - قد نص عليه كتاب الله تعالى .

قال تعالى (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ) (التحریم/ ١٢)

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا - إِيَّاهَا رُوحَهُ - جبريل عليه السلام - فنفخ في جيب درعها ، فنزلت النفخة حتى ولجت فرجها ، فصارت حاملاً من ساعتها .

* قال ابن كثير :

أَمَرَ اللَّهُ -تعالى- جبريل أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا، فَانزَلَتْ النَّفْخَةُ فَوَلَجَتْ فِي فَرْجِهَا، فَكَانَ مِنْهُ الْحَمْلُ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .^{٢٤}

* قال تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) (النساء/ ١٧١)

= أما النصارى : فهم يعتقدون كذلك أن المسيح مات مصلوباً إلا أنهم يعللون ذلك بأنه: صلب فداءً للبشر لتخليصهم من خطيئة آدم عليه السلام، وهي أكله من الشجرة التي نهى عنها، فانتقلت تلك الخطيئة إلى أبنائه، وأغضبت الله عليهم أيضاً، فكان لابد من وسيط يتحمل هذا الإثم ويرضى بأن يموت على الصليب، وهذا الوسيط المخلص في زعمهم لابد أن يكون ذا وضع متميز خال من الإثم والخطأ، ولا يكون هذا إلا ابن الله - الذي هو الله في زعمهم - ثم لابد أن يكتسب الخطيئة عن طريق الجسد .

فهذا ما جعله يتجسد في صورة عيسى، ويخرج من بطن مريم ثم يموت على الصليب فداءً للبشر، فيرضى الله بذلك عن بني آدم وترتفع عنهم تلك الخطيئة، لأنهم يزعمون أن الله جل وعلا منذ وقع آدم في الخطيئة، وهو غضبان على بني آدم بسبب الخطيئة، فأنزل ابنه ليكون الوسيط والفداء الذي يقع عليه العدل ؛ فيعذب على الصليب حتى الموت فيكون موته فداءً لبني آدم فيمكن بعد ذلك رحمة بني آدم لأن العقاب قد حل بالوسيط المخلص، فكان بهذا المسيح هو الذي جمع بين عدل الله ورحمته وفتح باب رحمة الله لخلقه مرة أخرى .

وانظر دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية(ص/٣٠٤)

^{٢٤} تفسير القرآن العظيم (١٧٣/٨)

*** وقوله تعالى (وكلمته ألقاها إلى مريم)

فبعيسى كلمة الله ، وقد سُمِّيَ عيسى -عليه السلام- كلمة الله لوجوده ولخلقه بكلمة من الله ، من غير أب ، قال تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمران/ ٥٩) فبقوله تعالى { كُنْ } خُلق عيسى عليه السلام .
فـ (كن) هي كلمة الله عز وجل، وهي الكلمة التي ألقاها إلى مريم ، وكلمة الله ليست مخلوقة ، وعيسى -عليه السلام- مخلوق .
* قال شاذ بن يحيى في قول الله : { وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه } قال : ليس الكلمة صارت عيسى ، ولكن بالكلمة صار عيسى²⁵ .
*** قال الإمام أحمد :**

الكلمة التي ألقاها الله - تعالى- إلى مريم -عليها السلام- حين قال له: كن، فكان عيسى: بكن ، وليس عيسى هو الكُنُّ، وَلَكِنْ بِالْكُنِّ كَانٌ ، فَالْكُنُّ من الله قول ، وليس الكن مخلوقاً. وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا:
عيسى روح الله وكلمته ، لأن الكلمة مخلوقة، وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله. وكلمته من ذات الله. كما يقال:
إن هذه الخرقه من هذا الثوب، وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة.²⁶

* تنبيه :

ما ذكره الإمام أحمد في قوله (وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله. وكلمته من ذات الله) فهذا هو معتقد القوم في المسيح عليه السلام ، إذ يقول الإنجيل "في البدء كان الكلمة ... وكان الكلمة الله" (يوحنا ١ : ١) .
ويكمل الإنجيل موضحاً أنّ كلمة الله هذا قد تجسّد في إنسان ، بقوله:
"والكلمة صار جسداً" (يوحنا ١ : ١٤) .
أي أن كلمة الله قد حل في جسد المسيح وتجلّى فيه ، ، لذلك هم يقولون :

²⁵ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦٣١٠)

²⁶ الرد على الجهمية والزندقة (١٢٦/١)

وقال الدارمي في "رده على المريسي الجهمي العنيد" (٦٧٤/٢-٦٨٥) فيقال لهذا المعارض: فإذا قال: "كن" كان، فهذا المخرج من أنه كان بإرادته وبكلمته، لا أنه نفس الكلمة التي خرجت منه، ولكن بالكلمة كان، فالكلمة من الله "كن" غير مخلوقة، والكائن بها مخلوق.

لا نُؤْمِنُ بِجَسَدٍ تَأَلَّهَ ، إِنَّمَا نُؤْمِنُ بِإِلَهِ تَجَسَّدَ .^{٢٧}

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

^{٢٧} ومما ورد في هذا المعنى من تخاريف القوم ، ما رُود في إنجيل يوحنا (ابْنُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ . هَذَا هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ ، وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ) (١ يوحنا ٥ : ٢٠) وورد في "إنجيل لوقا" (١ : ٣٤ - ٣٥) :

" ((قالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا عذراء ، لا أعرف رجلاً ؟ فأجابها الملاك: الروح القدس يحل عليك، وقدرة العلي تظلك؛ لذلك فالقدوس الذي يولد منك يدعى ابن الله.))
ويجدر ملاحظة أن لفظة (كلمة) التي ذكرت في الإنجيل هنا يشار إليها على أنها مذكر فيقول (في البدء كان الكلمة) وليس (كانت الكلمة) وأيضاً في قوله: "والكلمة صار جسداً" وليس (الكلمة صارت جسداً). لفظة "الكلمة" هنا إذاً تدل على أنها ليست مجرد كلمة عادية، لأن الكلمة العادية مؤنثة وليست مذكرة. وحيث أن لفظة الكلمة بالإنجيل هنا يشار إليها على أنها مذكر إذن فالمقصود بها هو أنها (الله نفسه) كما جاء في الإنجيل المقدس " وكان الكلمة الله" (يوحنا ١: ١)

ومما جاء فيما يسمى "قانون الإيمان المسيحي" الذي صدر عن " مجمع " نيقية " الذي انعقد سنة ٣٢٥ للميلاد :

« يسوع المسيح (عيسى عليه السلام) (هو) ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق ، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء و تجسّد من الروح القدس ...» [بعد ذلك توالى المجمع الكنائسية التي أتت بالطامات ، والذي تقرر : أن مريم العذراء ولدت إلهنا " ربنا يسوع المسيح " الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية و شهدوا أن المسيح له طبيعتان ، وأنه اتخذ اللاهوت والانسوت فيه أن المسيح إله و قضية الجوهر القديم و الابن و الآب و روح القدس ا.هـ . تعالى الله عما يقول الضالون علواً كبيراً .

** نقول :

وأصل هذا المعتقد في النصرانية إنما ينبني على زعمهم الباطل أن الله برحمة منه جسّد كلمته في صورة بشرية ، وهو ابنه المسيح المخلص ، ليكون فداءً للخطيئة الأولى ، ، وورد في انجيل يوحنا عن المسيح انه قال قال " لم أت لأدين العالم، بل لأخلص العالم " (يو ١٢ : ٤٧) وانظر محاضرات في النصرانية (ص/١٣٦)

نقول :

إن أفضل تشبيه لهذه العقيدة الباطلة، ما سطره صاحب كتاب (براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح)، حيث شبه الأمر بقصة ملك تمرد عليه شعبه، فأرسل إليهم رسلاً يدعونهم إلى الخير فقتلوه، فقرر الملك أن يبعث ابنه الوحيد ليضربوه ويقتلوه ويهينوه ؛ كفارة عن معاصيهم، فمن صدق ذلك فهو عنده الكريم المغفور له ، مهما ارتكب من آثام وموبقات وجرائم.

• وقد كانت حيثيات هذا القرار:

أن الملك عادل، ومن عدله يقتص من المجرمين المخربين المفسدين في مملكته، ولكنه حباً لهم، وحتى لا يهلك كل من في المملكة، رضي بأن يقتص من ابنه الوحيد =

كلام الله قد يراد به الكلام الذي هو الصفة، كقوله تعالى: {وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا} ، وقوله: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} .

ويراد به ما فعل بالكلمة، كالمسيح الذي قال له (كن) فكان، فخلقه من غير أب على غير الوجه المعتاد المعروف في الأدميين، فصار مخلوقاً بمجرد الكلمة دون جمهور الأدميين، كما خلق آدم وحواء أيضاً على غير الوجه المعتاد ، فصار عيسى -عليه السلام- مخلوقاً بمجرد الكلمة دون سائر الأدميين. اهـ^{٢٨}

أما قوله تعالى «روح منه» :

والمعنى : أن روح عيسى-عليه السلام- مبتدأة من الله تعالى، وأن الله خلقها، كما قال الله عما خلق في السماوات والأرض قال (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ) [الجاثية:١٣] فكل ذلك من الله تعالى ، هو الذي ابتداء خلقه وأوجده، وأعطاه ووهبه . فلقد خلق عيسى - عليه السلام - من أثر نفخة جبريل -عليه السلام - في جيب درع مريم-عليها السلام -بأمر الله إياه بذلك، فنسب إلى أنه روح من الله، فنسبت روح عيسى -عليه السلام-إلى الله -تعالى-لأنها وصلت إلى مريم -عليها السلام - في آية من آيات الله ، فقد حملت بعيسى من غير أب ، فبهذا امتاز عن بقية الأرواح . في حين أن النصارى يزعمون أن تأويل قوله " روح منه " على معنى التبويض .

* قال ابن كثير :

قوله تعالى «روح منه» : أي من خلقه ومن عنده، وليست "من" للتبويض، كما تقوله النصارى بل هي لابتداء الغاية ، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشریف ، كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله، في قوله: { هذه ناقة الله } [هود: ٦٤] وفي قوله: {وطهر بيتي للطائفين} [الحج: ٢٦]^{٢٩}

=البريء،الذي يعدل القصاص منه كل جرائم شعبه، وأمر بأن يعذب ثم يصلب!!!!
فلو قيل لعاقل تجنن ، لما قال بمثل هذا .

^{٢٨} درء تعارض العقل والنقل (٢٦٣/٧)

^{٢٩} تفسير القرآن العظيم(٤٧٩/٢)قول ابن كثيررحمه الله (وليست "من" للتبويض، كما تقوله النصارى..فهو يشير -رحمه الله-إلى زعم النصارى أن عيسى من الله ، وأنه المولود من =

***ثم نتنزل معكم :

أن قوله تعالى (وروح منه)

من المتشابه الذي يحتمل قولنا وقولكم ، فحال أهل العلم عند المتشابه أن يحملوا المتشابه على المحكم .

فالمحكم هو قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤))

والمحكم هو قوله تعالى (لقد كفروا الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) ، المحكم هو قوله : (لقد كفروا الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)

المحكم (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ

قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠))

• المحكم قوله تعالى (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ

قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ)

إذا : عيسى مخلوق .

المحكم في أول ما نطق المسيح في المهد (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ...)

...

عوداً إلى حديث الباب : " والجنة حق، والنار حق " .

قوله: «والجنة حق ، والنار حق»

أي وشهد أن الجنة التي أخبر الله -تعالى - بها في كتابه أنها حق ، مخلوقة موجودة الآن لا شك فيها.

وشهد أن النار التي أخبر الله- تعالى - بها في كتابه أنها حق مخلوقة موجودة الآن لا شك فيها .

قال تعالى : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء

= الآب قبل كل الدهور، مستدلين على ذلك أن قوله "روح منه " أي جزء منه .

وقد ذكر الألوسي أن طبيباً نصرانياً حاذقاً للرشيد قد ناظر علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له: إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى، وتلا هذه الآية، فقرأ الواقدي قوله تعالى ((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)) [الجنات: ١٣] فقال: إذن يلزم أن يكون جميع الأشياء جزءاً منه ، سبحانه وتعالى علواً كبيراً . فانقطع النصراني وأسلم، وفرح الرشيد فرحاً شديداً .

وانظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(٣/٢٠٠)

والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله (الحديد/٢١)
 وقال تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى
 (النجم/١٣-١٥)

قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
 وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران/١٣٣) ، وقال تعالى (وَاتَّقُوا النَّارَ
 الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (آل عمران/١٣١)
 وهذا الفعل { أُعِدَّتْ } في الآيتين هو فعل ماضٍ ، دل على أن الجنة
 مخلوقة موجودة الآن ، وكذلك النار .

**** ومن السنة :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 - لِبِلَالٍ:

"يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ ، عِنْدَكَ فِي الْإِسْلَامِ مَنَفَعَةٌ ، فَإِنِّي
 سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ .

قَالَ بِلَالٌ : مَا عَمِلْتُ عَمَلًا فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنَفَعَةً ، مِنْ أَنِّي لَا
 أَنْظَهُرُ طُهُورًا تَامًّا ، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ ،
 مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ .^{٣٠}

** وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا أَنَا بِقَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقُلْتُ:
 لِمَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ،
 إِلَّا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ " قَالَ : وَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟!^{٣١}

**وعن أنس - رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
 " والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً وبعيتم كثيراً .
 قالوا : وما رأيتم يا رسول الله ؟ قال : رأيتم الجنة والنار .^{٣٢}

وعن عمران بن حصين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال
 : اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء.^{٣٣}

^{٣٠} متفق عليه.

^{٣١} أخرجه أحمد (١٢٠٠٨)

^{٣٢} صحيح مسلم (٦٤٦)

^{٣٣} متفق عليه.

وقد عقد البخاري في صحيحه باباً قال فيه :

" باب : ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة " ، وذكر أحاديث منها ما تقدم من أن الله يُري الميت مقعده من الجنة والنار بعد أن يوضع في قبره .^{٣٤}

• الدليل العقلي على خلق الجنة والنار : دليل الإمكان :

يقصد بهذا الدليل أن العقل لو تُرك ونفسه دون مؤثر خارجي لحكم بجواز خلق الجنة والنار ، فلا يترتب على خلقهما أي محال ، وفي ذلك يقول القبيرواني : "واعلم أنه لا إحالة في خلق الجنة " .^{٣٥}

*** الشاهد من ذلك أنّ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، بإجماع أهل السنة .

*** ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى ظهر المخالفون لذلك ، ومنهم ما يلي :

(١) الجهمية و المعتزلة :

^{٣٤} تنبيه : من العلماء من استدل على مسألة الباب بقوله تعالى (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) (البقرة: ٣٥).

حيث ذكر الله- تعالى- قصة آدم وحواء عليهما السلام، وإسكانهما الجنة، فلو لم تكن الجنة موجودة لما كان هناك معنى لإسكانهما بها، وإذا ثبت خلق الجنة ثبت خلق النار؛ لأنه لا قائل بالفصل،

قالوا : ومما يدل على أنها جنة الخلد أن الله- تعالى- ذكر لآدم - عليه السلام - أوصاف هذه الجنة عند إدخاله إليها، وهذه الأوصاف لا تكون إلا في جنة الخلد، وهذه الأوصاف لا تعقل إلا في الجنة الموعودة، قال تعالى : (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا يَصْحَى (طه: ١١٧- ١١٩))، أخبر أنه لو خرج من الجنة؛ يشقى، وأنه في الجنة لا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى، وهذا من صفات جنات عدن لا من صفات جنات الدنيا، فدللتنا هذه الآية أن آدم عليه السلام كان في جنات عدن.

*يؤيده : أن اللام في لفظ الجنة هي لام العهد، فيقول: "وقال تعالى لآدم (اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) (البقرة: ٣٥)، ذكر الجنة بلام التعريف، فينصرف إلى ما هو المعلوم عند المسلمين، وليس ذلك إلا دار الثواب . وانظر لذلك "" خلق الجنة والنار بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة "" د. محمد النويهي(ص/١٤٠)

^{٣٥} النكت المفيدة في شرح الخطبة والعقيدة لأبي زيد القيرواني(ص/ ١٣٢)

بل إن الرازي يجعل دليل الإمكان مع ورود النص ضابطاً لثبوت مثل هذه القضية العقدية الغيبية، فيقول: "والضابط في جميع هذه الأبواب، أن كل ذلك ممكن، وقد ورد الخبر الصدق به، فوجب تصديقه " . وانظر الإشارة في أصول الدين(ص/٣٥٢)

لم يقع خلاف بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة على حقيقة الجنة والنار
وثبوتهما، لأنّها من المسائل العقديّة التي لا تحتمل الخلاف، لورودها بأدلة
قطعية الثبوت قطعية الدلالة.

*** يقول القاضي عبد الجبار:**

فإن الأمة أجمعت على أن لا دار غير الجنة و النار " ٣٦ .

فأهل السنة والمعتزلة لا خلاف بينهم في حقيقة الجنة والنار وثبوتهما.

بل الخلاف وقع في أنهما موجودتان أم ستوجدان في يوم الجزاء .

فقد أنكر الجهمية و أكثر المعتزلة أن تكون الجنة والنار مخلوقتين الآن ،

وقالوا إنهما يُخلقان يوم الجزاء .

والذي حملهم على هذا إنما هو القياس الفاسد ، حيث قاسوا أفعال الله –
تعالى- على أفعال خلقه ، وأن الله ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن
يفعل كذا !!

**** فقالوا :**

خلق الجنة قبل الجزاء عبث ؛ لأنها تصير معطّلة مُدداً متطاولة !! وكذا
النار .

فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب
تعالى ، وحرّفوا النصوص عن مواضعها ، وضلّوا وبدّعوا من خالف
قولهم .^{٣٧}

(٢) الفلاسفة والملاحدة :

قالوا : ليس عندنا جنة ولا نار، إنما الرب يذكر ذلك في القرآن من باب
زجر الناس فقط .

^{٣٦} شرح الأصول الخمسة(ص/٦٢٣)

^{٣٧} شرح العقيدة الطحاوية(١/٤٢٠) والفصل في الملل والأهواء والنحل(٤/٦٨)

وإن كان أبو علي الجبائي وأبو الحسن البصري وبشر بن المعتمر- وهم من رؤس المعتزلة-
على مذهب أهلة السنة والجماعة في هذه المسألة . وانظر "خلق الجنة والنار بين أهل السنة
والمعتزلة. د. محمد النويهي(ص/١٤٨)

** فرع : مكان الجنة والنار :

أما الجنة فهي فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن
قال تعالى: (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) [النجم- ١٥]
[وعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سألتم
الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن،
ومنه تفجر أنهار الجنة^{٣٨} .

فثبت بهذا الحديث أن الجنة تحت عرش الرحمن ..

وقد ثبت في حديث قصة الإسراء في صحيح مسلم حديث (١٦٢)
أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة ، وعليه فالجنة يقيناً - والعلم الحق
عند الله - فوق السماء السابعة ، وتحت عرش الرحمن كما دل عليه هذين
الحديثين .

* أما مكان النار :

ففي الأرض السابعة ، قال تعالى : (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا
أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) [المطففين: 9]
وسجّين الأرض السفلى ؛ فالنار في الأرض .

وقد روي في هذا أحاديث ؛ لكنها ضعيفة ، ورؤي آثار عن السلف كابن
عباس ، وابن مسعود ، وهو ظاهر القرآن قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) (الأعراف/ ٤٠)

والذين كذبوا بالآيات واستكبروا عنها : " لا شك أنهم في النار. " ^{٣٩}

* وفي حديث البراء- رضى الله عنه- في حق الكافر يقول الله:

اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرْحاً .

(٤٠)

* قال ابن كثير : والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجن وهو الضيق ، فإن

^{٣٨} البخاري [٧٤٢٣]

^{٣٩} الشرح الممتع (٣ / ١٧٤-١٧٥)

^{٤٠} أخرجه أحمد (١٨٥٣٤) وسنده صحيح .

المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه ، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيـق إلى المركز في وسط الأرض السابعة ، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى : (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ..

وقال هاهنا : (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ) .. وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى (: وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) . اهـ.^{٤١}
والحاصل أن الجنة فوق السماء السابعة، وسقفها العرش ، وأن النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد، والله أعلم .^{٤٢}

***** مسألة : هل تفنى الجنة والنار ؟**

ذهب الجهمية إلى القول بفناء النار وفناء الجنة ، وقد حكى الإمام أحمد في آخر كتاب (الرد على الزنادقة) مذهب الجهمية بأن النار والجنة تفنيان، ورد عليهم ذاكراً النصوص الدالة على عدم فنائهما.^{٤٣}
-- قال ابن القيم :

القول بفنائهما فهو قول قاله جهنم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية ، وليس له فيه سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام ، ولا قال به أحد من أهل السنة، وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به.^{٤٤}
* وقال أهل السنة والجماعة:

^{٤١} المعالم العقديـة في الجنة والنار عند أهل السنة(ملتقى أهل الحديث)

^{٤٢} لوامع الأنوار البهية (٢٣٩/٢)

^{٤٣} قال الإمام أحمد : تناولت الجهمية من قول الله:

{هو الأول والآخر} فقالوا: يكون الله الآخر بعد الخلق، فلا يبقى شيء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي. (الرد على الزنادقة(ص/١٦٨)

^{٤٤} حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص/٣٤٨)

الجنة والنار حق ، وهما موجودتان لا فناء لهما ، وقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة على تقرير هذا المعتقد ، فمن ذلك قوله تعالى : (ولهم عذاب مقيم) المائدة/٣٧ ، وقوله : (لا يُفْتَرُ عنهم وهم فيه ملبسون) الزخرف/٧٥ ، وقوله : (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)) (الجن/٢٣) ، وقوله : (وما هم منها بمخرجين) (الحجر/٤٨)

****ومن السنة :**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُوتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيَنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَهُ، فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} [مريم: ٣٩] ^{٤٥}.

****** وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ " ^{٤٦}

***** الإجماع ::**

قال القرطبي :

فمن قال إنهم يخرخون منها وأن النار تبقى خالية، وبجملتها خاوية على عروشها، وأنها تفتى وتزول، فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول.. ^{٤٧}

*** قال ابن حزم:**

اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ، ولا للنار ولا

^{٤٥} رواه البخاري(٤٧٣٠)ومسلم (٥٠٨٧)

^{٤٦} أخرجه مسلم (١٨٥)

^{٤٧} التذكرة (ص/٤٣٧) وفتح الباري(١١/٤٢١)

لعذابها ، إلا الجهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف وقوماً من الروافض ^{٤٨} .
قال ابن القيم :

إن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين ، والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد. ^{٤٩}

**** مسألة فناء نار الكافرين :**

قد نُسبت هذه المقالة لعدد من الصحابة – رضي الله عنهم -:

ومنهم عمر وابن مسعود وأبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين.

فهذا مما لا يصح عن أحد من الصحابة – رضي الله عنهم – من ذلك شيء.

**** كذلك فما نُسب لشيخ الإسلام ابن تيمية من القول بهذه المسألة ، فهذا مما لا يصح أيضاً نسبته إليه .^{٥٠}**

^{٤٨} الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٤٥)

^{٤٩} حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح(ص/٣٥١)

^{٥٠} فقد قال الشيخ مقبل الوداعي في مقدمته على كتاب (بلوغ المنى في حكم الاستمناء) ذلكم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم زلت أقدامهما في القول بفناء النار، وقد رد عليهما الصنعاني في كتاب (رفع الأستار في الرد على القائلين بفناء النار). والعالم إذا أخطأ وله فضائل، غمرت أخطاؤه في فضائله، وما من أحد من العلماء إلا وله أخطاء. اهـ

والصحيح عدم نسبة هذا القول إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، وذلك لأمر :

أن شيخ الإسلام – رحمه الله- قد سئل:

عن حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء: النار وسكانها واللوح والقلم والكرسي والعرش} فهل هذا الحديث صحيح أم لا؟ .

فأجاب:

هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو من كلام بعض العلماء. وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك (مجموع الفتاوى(٣٠٧/١٨))
**** لو سلمنا بصحته عن شيخ الإسلام – ولم ينقل نص صريح بذلك عنه – فإن غاية ما فيه رأي رآه في أول حياته ثم تبين له خلافه، وذلك جمعاً بين ما ثبت عنه من نقل الاتفاق على عدم فناء النار وما ينسب له من القول بفنائها، ولا يمكن أن ينقل الاتفاق على ذلك ثم يقول بخلافه!!**
وقد قال شيخ الإسلام بحياة الخضر ، ثم تبين له بعد ذلك الصواب في خلافه .

*** ومما يثبت أن شيخ الإسلام لا يقول بفناء نار الكافرين =:**

= أن النصوص التي يستدل بها القائلون بأن ابن تيمية - رحمه الله - يرى فناء النار هي نصوص مجملة، غير صريحة في ذلك ، أما النصوص التي يستدل بها القائلون بأنه يرى أبدية النار، فهي مبينة صريحة في أنه يرى أبديتها، ومن القواعد المقررة عند أهل العلم أن المجمل مما في نصوص الكتاب والسنة يرد إلى المحكم، ولا يتعلق بالمتشابه والمجمل ويترك المحكم والمبين إلا أهل الزيغ والضلال .

مما يثبت أن شيخ الإسلام لا يقول بفناء النار :::::

أنه لم يتعقب كلام ابن حزم في كتابه (مراتب الإجماع) حيث قال (ص/٣ ١٧):
(وأن النار حق وأنها دار عذاب أبدا لا تنفى ولا يفنى أهلها أبدا بلا نهاية) فأقره شيخ الإسلام ولم يتعقبه بشيء مع أنه تعقبه في غيرها.

أما نسبة هذا القول -الذى هو فناء نار الكافرين - للعلامة ابن القيم - رحمه الله - فالذي يظهر بعد البحث في هذه المسألة أن ابن القيم - رحمه الله - له في مسألة فناء النار ثلاثة أقوال كلها مذكورة في كتبه وهي:

القول الأول : مال فيه إلى القول بفناء النار، وقواه وأيده بالأدلة، وذلك في كتابه "حادي الأرواح"، حيث نقل جملة من الآثار عن الصحابة -رضى الله عنهم- في ذلك ومال إلى تصحيحها، كما نفى دلالة القرآن على عدم فناء نار الكافرين ، فقال :
وأما الطريق الثاني وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها ، فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك ؟

نعم الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في النار أبدا وأنهم غير خارجين منها وانه لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم وانه غرام لازم لهم .
وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع ، وإنما النزاع في أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب الله عليه الفناء وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط .

فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية وبعض أهل البدع. ا.هـ ، وأطال النفس في النفاخ عن ذلك. حادي الأرواح(ص/٣٦٤)

القول الثاني:

التوقف في هذه المسألة، وقد ذكر ذلك في كتابه الصواعق المرسله (إن قيل إلى أين انتهى قدمك في هذه المسألة العظيمة؟ قيل: إلى قوله تعالى: "إن ربك فعال لما يريد" وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين على بن أبي طالب)

القول الثالث:

أنه يقول بما أجمعت عليه أهل السنة وهو دوم النار، وقد نص على ذلك في كتابه الوابل الصيب:(ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبث لا طيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاث: دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض وهاتان الداران لا تقنيان. ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي لا تقنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض)

قال ذلك في كتابه الوابل الصيب من الكلم الطيب وهو من أواخر ما ألف رحمه الله.
وكذا قال به في كتابه طريق الهجرتين، ولعل ذلك بعد وقوفه على الإجماع الذي ذكره جماعة من أهل العلم. ولقد غلب بعض الباحثين الظن بأن ما قاله ابن القيم في (الوابل الصيب) و(طريق الهجرتين) ناسخ لما ذكره في (حادي الأرواح) و(شفاء العليل) و(الصواعق المرسله) =

عودٌ إلى حديث الباب : قوله صلى الله عليه وسلم (أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)

قوله (على ما كان من العمل) يحتملين أمرين :

(أ) الأول :

أن يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل واحد منهم في الدرجات .^{٥١}

كما قال تعالى (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)

=وأيّد هذا الاستنتاج ببعض الحجج انظرها في كتاب (كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار) لعلّي الحربي، طبعة دار طيبة.

والخلاصة من هذا البحث:

أن المنصف يرى أن القول بعدم فناء النار هو أقرب الأقوال لمذهب ابن القيم – رحمه الله – وذلك لأنه الذي ذكره في الوابل الصيب الذي هو من آخر كتبه، ثم إنه من المتقرر عند أهل العلم أن العالم إذا كان له قولان لم يترجح المتأخر منهما أنه يرجح منهما ما كان موافقاً لمذهب السلف، وقد تقرر أن مذهبهم عدم فناء النار ، أعادنا الله منها ووالدينا وذرياتنا وإخواننا المسلمين.

ثم نقول ::

أما الآثار التي استدلت بها من يقول بفناء النار ، فقد فإن الصنعاني في كتاب (رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار) ومحقق الكتاب الألباني قد بينا أنها آثار لا تصح والصحيح منها غير صريح، فهي إما غير صحيحة أو غير صريحة . فكيف يخالف بها الإجماع المنقول عن سلف الأمة وأئمتها؟؟!!

ثم نقول : مما يدل على أن ابن تيمية وابن القيم لم يقولوا بفناء النار: أنه لم ينقل أحد من تلامذتهما عنهما هذا القول، ولم ينقله عنهما أحد منهم، وتلاميذهما علماء محققون وهم كثر، أمثال (الذهبي وابن رجب وابن الجوزي)

وهنا ننبه :

أنه لم يحصل إجماع على تخطئة القول بفناء النار، وعده من البدع، كما زعم البعض ، فالمسألة خلافية، وإن كان الجمهور لا يرون القول بذلك، لكنه لم يتم إجماع على إنكاره، وإنما هو من المسائل الخلافية التي لا يبتدع فيها.

فالقول بفناء النار وحدها، وإن كان مخالفاً للصواب، ومجانياً للحق، إلا أن وصفه بالبدعة - فضلاً عن الكفر - محل نظر؛ لاعتماد القائلين به على اجتهاد في فهم بعض النصوص الشرعية، وآثار تروى عن السلف في ذلك، الصحابة، فمن دونهم.

فهذا القول لا يعتبر من البدع ما دام أن أصحابها يستدلون له؛ لأن البدع ما ليس له دليل أصلاً، وغاية ما يقال: إنه خطأ، أو رأى غير صواب. ولا يقال: بدعة.

وليس قصدي الدفاع عن هذا القول، ولكن قصدي بيان أنه ليس بدعة، ولا ينطبق عليه ضابط البدعة، وهو من المسائل الخلافية. فالحاصل أن النار - وإن كان الصواب فيها أنها لا تفتنى- إلا أن القول بذلك ليس محل إجماع، ولا القول بفنائها من بدع الضلالة.

^{٥١} فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٥/٦)

(ب) الثاني :

يعنى أن أي عمل يقع فيه العبد من الذنوب فمآله إلى الجنة ، مادام أنه جاء بهذه الشهادات الخمسة، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه .

قال القرطبي:

قوله (على ما كان من عمل) أي يُدخله الجنة ولا بد ، سواء كان عمله صالحاً أو سيئاً ، وذلك بأن يغفر له السيء بسبب هذه الأقوال ، أو يربي ثوابها على ذلك العمل السيء، وكل ذلك يحصل إن شاء الله تعالى لمن مات على تلك الأقوال، إما مع السلامة المطلقة وأماً بعد المواخذه بالكبائر اهـ.^{٥٢}

***** قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " " : "**

" ادْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ "

فيه ردُّ على الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون صاحب الكبيرة ويخلّدونه في النار، إن مات مصراً عليها ، وكذلك فيه ردُّ على الجهمية وغلاة المرجئة القائلين أنه لا يضر مع الإيمان ذنب .
فالحديث يمثل وسطية أهل السنة والجماعة بين تلك الطائفتين ..
وبيان ذلك :

أن حديث الباب رد على المعتزلة في مقامين :

أحدهما : أن العصاة من أهل القبلة لا يخلدون في النار؛ لعموم قوله " من شهد أن لا إله إلا الله

الثاني: أن الله -تعالى - قد يعفو عن السيئات قبل التوبة واستيفاء العقوبة ؛ فإن قوله : " على ما كان من العمل ... " حال من قوله ((أدخله الجنة..)^{٥٣}

**** وأما المرجئة :**

فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- أنه من العمومات التي يحتج بها المرجئة قوله: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، أدخله الله

^{٥٢} الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (٢/٢٦١)

^{٥٣} فيض القدير شرح الجامع الصغير (٦/١٥٩)

الجنة) ونحو ذلك من النصوص .^{٥٤}

**** ولكن حديث الباب فيه رد عليهم :**

حيث ورد في معنى قوله صلى الله عليه وسلم :

" أدخله الله الجنة على ما كان من العمل :

" أن المرء قد يؤخذ على ذنوبه التي مات مصراً عليها ، ثم يكون ماله لى الجنة .

قال البقاعي:

"لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " أَي انْتَقَى انْتِقَاءَ عَظِيمًا أَنْ يَكُونَ مَعْبُودًا بِحَقِّ غَيْرِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ، فَإِنَّ هَذَا الْعِلْمَ هُوَ أَعْظَمُ الذِّكْرِ الْمُنْجِيَةِ مِنْ أَهْوَالِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ عِلْمًا إِذَا كَانَ نَافِعًا وَإِنَّمَا يَكُونُ نَافِعًا إِذَا كَانَ مَعَ الْإِذْعَانِ وَالْعَمَلِ بِمَا تَقْتَضِيهِ ، وَإِلَّا فَهُوَ جَهْلٌ صَرَفٌ"^{٥٥}

-- قال الشيخ العلامة حمد بن محمد بن عتيق- رحمه الله- معلقاً على قوله صلى الله عليه وسلم ((من شهد أن لا إله إلا الله)):

أي من شهد أن لا معبود بحق إلا الله، وقام بوظائف هذه الكلمة من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله، وتبرأ من كل المعبودات سواه، سواء كان ذلك المعبود نبياً أو غيره، وأن محمداً عبده ورسوله الصادق المصدوق، أفضل الرسل، فهو عبد الله ورسوله، أوجب الله تعالى على الخلق طاعته، ونهى عن عبادته، وأمر بإخلاص العبادة لله بجميع أنواعها، كما قال: **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا [النساء: ٣٦]**.

وليس المراد أن الإنسان إذا شهد بهذا من غير عمل بمقتضاه يحصل له دخول الجنة، بل المراد به الشهادة لله بالتوحيد، والعمل بما تقتضيه شهادة أن لا إله إلا الله، من الإخلاص، وما تقتضيه شهادة أن محمداً عبده ورسوله، من الإيمان به، وتصديقه، وأتباعه.^{٥٦}

. **وعليه فإن الشهادتين إنما تنبئ على أركان ثلاثة :**
العلم والعمل والصدق.

بالعلم حينئذ يباين طريقة النصارى.

^{٥٤} مجموع الفتاوى (٧/ ٦١٣، ٦١٤).

^{٥٥} فتح المجيد (ص/ ٣٨) وتيسير العزيز الحميد (ص/ ٥٦)

^{٥٦} إبطال التنديد باختصار كتاب التوحيد (ص: ٢١) والموسوعة العقدية(٤/٤٧٩)

وبالعمل يباين طريقة اليهود.

وبالصدق يباين طريقة المنافقين.

فهذه الثلاثة طوائف هي شر الطوائف على وجه الأرض اليهود والنصارى
والمنافقون بالعلم يباين طريقة النصارى ، وبالعمل يباين طريقة اليهود،
وبالصدق يباين طريقة المنافقين .^{٥٧}

تم بحمد الله.

^{٥٧} شرح كتاب التوحيد للحازمي (دروس صوتية) (درس رقم ٩٧/)